الكاتب: أ/ سمية شريط
المدرسة الوطنية العليا للعلوم الساسية

عنوان المقال: دور التنشئة الاجتماعية في إنتاج الفكر المتطرف- قراءة في الأسباب وسبل الوقاية

البريد الالكتروني:soumaya.cheriet12@gmail.com

تاريخ الارسال: 2019/01/26 **تاريخ القبول:** 2019/03/27 **تاريخ النشر:** 2019/09/30

دور التنشئة الاجتماعية في إنتاج الفكر المتطرف- قراءة في الأسباب وسبل الوقاية

الملخص بالعربية:

نظرا للتطور الهائل الذي يشهده عصر اليوم على جميع الأصعدة، أصبحت لبعض التهديدات صبغة دولية عابرة للحدود، كونها تهدد أمن كل الدول على حد سواء العظمى منها قبل الصغرى، خاصة بعد انتشار التكنولوجيا وظهور وسائل التواصل عن بعد، فلم يعد أفراد الشبكات الإجرامية والإرهابية اليوم بحاجة للتنقل لتنفيذ مخططاتهم، ولا بذل الكثير من الجهود وصرف الأموال لنيل مرادهم في التدمير والترهيب، إضافة إلى أنهم أصبحوا قادرين على تجنيد أكبر عدد ممكن من الشباب من مختلف الجنسيات بشكل جد بسيط، هؤلاء الذين يحملون بذرات التطرف، الذي يخلق عندهم استعدادا نفسيا وذهنيا للانضمام لشبكات الإجرام والتنظيمات الإرهابية، وللتنشئة الاجتماعية للأفراد دور كبير في ذلك وفي هذه الورقة البحثية سيتم الكشف عن الأسباب الكامنة وراء قابلية تجنيد الشباب في الجماعات المتطرفة من مدخل سوسيو-سيكلوجي.

SUMMARY :

Duo to the tremendous development that is taking place today at levels, some of the threats have become transboundary, which threaten the securuity of all countries, the largest before the micro ones, especially after the spread of the techology and the emergance of romote means of communication; today criminal and terrorist organizations no longer need to move to implement their plans, not to make much effort and to spend money for their purpose in destruction and

intimidation, in addition to being able to recruit as many young people of different nationalities very simple, those who carry the seeds of extremism which creates a psychological and mental readiness to join to crime and trrorist organizations, and the socialization of individuals a significant has a big role in that, and this research paper will detect the underlying causes of vulnerability of youth recruiment into extremist groups from the socio-psychological entrance.

الكلمات المفتاحية: ●التطرف Extremism ●الإرهاب Terrorism ●التنشئة الاجتماعية Socializaton ●التهميش الاجتماعي Social marginalization

المقدمة:

أصبح التطرف من بين الظواهر التي فرضت نفسها وبقوة على الساحة الدولية خاصة في الآونة الأخيرة، رغم كونه ليس بظاهرة جديدة، إلا أن خطورته تكمن في تغذية وتزايد الكثير من الظواهر الأخرى كالإرهاب الذي أصبح له شأن دولي لما يحدثه من آثار ونتائج مست كل الدول على حد سواء، وقبل الخوض في التعريف ومعرفة نتائج وأساليب مكافحة هذه الظاهرة، وجب التعريج والاطلاع على أسباب ومسببات التطرف في المجتمع بناء على تحليل سوسيولوجي سيكولوجي، لمعرفة النقاط التي يتم من خلالها استهداف فئة دون غيرها في المجتمع لها استعدادية للانخراط في منظمات خطيرة، وعليه قمنا بطرح الإشكال التالي:

كيف يمكن أن تكون التنشئة الاجتماعية سببا لميول الأفراد نحو للتطرف ؟

أولا: مفهوم التطرف

في تعريف التطرف يمكن القول أن:

1/التطرف في اللغة:

هو الوقوف في الطرف، هو عكس التوسط والاعتدال ومن تم فقد يقصد به التسيب أو المغالاة ، وإن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط فقط، والتطرف كذلك يعني الغلو وهو

ارتفاع الشيء ومجاوزة الحد فيه، وفي المصباح المنير: غلا في الدين غلوا من باب تعد أي تعصب وتشدد حتى جاوز [1]الحد. فالتطرف هو الميل عن المقصد الذي هو الطريق الميسر للسلوك فيه، والمتطرف هو الذي يميل إلى أحد الطرفين.[32]

التطرف يقصد به في الغالب الخروج عما اعتاده وألفه الناس من أفكار وسلوكيات وأحوال، ولا يقتصر التطرف على المجال الديني فحسب، بل قد يطال كل المجالات، السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الرياضي منها.

2/التطرف في الاصطلاح:

يرتبط بأفكار بعيدة عن ما هو متعارف عليه سياسيا واجتماعيا ودينيا دون أن ترتبط تلك المعتقدات بسلوكيات مادية متطرفة أو عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة . ويرى البعض أن التطرف يحمل في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية، يتجاوز مداها (أي الحركة) الحدود التي وصلت إليها القاعدة وارتضاها المجتمع.[4]

وعلى هذا الأساس فإن التطرف هو مجموعة من المعتقدات والأفكار التي تتجاوز المتفق عليه سياسيا واجتماعيا ودينيا فالتطرف هو دائما يكون مرتبطا بما هو فكري بالأساس.

وفي المجال الديني، لا يقتصر التطرف على دين معين، بل هناك متطرفون من أتباع كل الديانات السماوية والوضعية، ومن أتباع كل الإيديولوجيات، فهناك متطرفون يهود، ومتطرفون نصارى، ومتطرفون هندوس، ومتطرفون علمانيون، ومتطرفون ملحدون ومتطرفون مسلمون وحينما نقول التطرف الديني، فالمقصود به التطرف الذي يحصل لدى البعض في فهم الدين أو تطبيقه، حيث تكون الدوافع دينية والغايات كذلك، أو هكذا يبدي المتطرف على الأقل. وما دام الانحراف في حيز الفكر فهو تطرف، لكن إذا تجاوز التطرف حيز الفكر وظهر في صورة تهديد بممارسة العنف أو ممارسته فعلا ضد الدولة أو المجتمع، إما بشكل فردي أو في صورة تنظيم، فذلك الذي يسمى الإرهاب، ويمكننا القول بأن كل إرهاب تطرف، حيث لا يصير الشخص إرهابيا إلا إذا كان متطرفا، وليس العكس، أي ليس كل متطرف إرهابيا، لذلك أوردت لفظ الإرهاب في العنوان، لأن في الحد من التطرف حد من الإرهاب وتجفيف لمنابعه[5].

وفي التفريق بين التطرف والإرهاب يمكن القول أن التطرف يتعلق بالفكر أما الإرهاب فيتعلق بالفعل، وأن التطرف لا يعاقب عليه القانون بخلاف الإرهاب الذي يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون.

أولا: جوانب تحليل ظاهرة التطرف

1/الجانب الاجتماعي:

ننطلق في هذه الدراسة التحليل من جانب اجتماعي ونبدأ ب:

أ/ الأسرة:

تعتبر الأسرة هي اللبنة الأولى والمدرسة الأساسية التي يتبنى منها الفرد أفكاره ويصقل بها شخصيته ليتوجه بعدها للتعامل مع المجتمع، والمبادئ الأساسية التي يأخذها الفرد من أسرته ترافقه في باقي مراحل عمره، ولهذا فإن الخلفية الاجتماعية والنفسية للفرد لها أهمية كبرى في تحديد أنماطه السلوكية وتفاعله مع الآخرين.

وكذلك نجد أن عملية التنشئة تلعب دورًا مهمًّا في تشكيل سلوك الإنسان ومن ثم شخصيته الإنسانية ولذلك تكون الذات والشخصية نتاجًا اجتماعيًّا يتكونان من تفاعل الإنسان مع البيئة في مراحل عمره المختلفة.

فنجد أن بعض الأولياء يخطئ سهوا أو عمدا في تكوين أبنائهم في أكثر مراحل عمرهم حساسية فالكثير من الأسر تغيب داخلها لغة الحوار والاتصال والتواصل بين الأبناء والولدين بشكل شبه تام، إضافة إلى أن الكثير منهم يذهب إلى معاملة أطفالهم بأسلوب التعنيف اللفظي والجسدي وتحسيسهم بأنهم غير مرغوب فيهم وإهمالهم وعدم الاهتمام بأفكارهم ومنعهم من التعبير عنها، والتقليل منها والاستهزاء بها ونبذهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة بل يذهب البعض حتى إلى منعهم اللعب والاختلاط بأقرانهم من الأطفال .. ما يحدث هوة بين الأطفال وذويهم، فكل هذه التصرفات ستحدث أثرا سيئا في التكوين النفسي والاجتماعي للأبناء والصحة النفسية للفرد في المرحلة التالية.[6]

وهذا في كثير من الأحيان يعد السبب الأول الذي يجعل الفرد يحاول الانتماء إلى جماعات وعصابات يستطيع من خلالها إشباع شعوره بالانتماء والألفة إلى تلك العشرة والتوافق والانسجام عند التعامل، وكلما انعزل الفرد عن أسرته وابتعد عنها ازداد شعوره بالحاجة إلى تلك الجماعات البديلة التي يجد فيها ما افتقده والتي تحاول تلك الجماعات الإرهابية تعويضه ذلك وتقوم بإدخال قيم ومعايير الجماعة في شخصية الفرد والتي تعارض قيمًا ومبادئ اجتماعية ودينية في المجتمع بحيث تدفع الضرر إلى أن يقوم لسلوك اجتماعي يتسق مع قيم ومعايير الجماعة التي لا تعطي على الأقل أهمية بالالتزام بقيم ومعايير المجتمع الأساسية . ولا عجب أن وصل بعض الباحثين إلى حقيقة أن طول الزمن والانتباه اللذين يستثمرهما أولياء الأمور في التعامل مع أبنائهم يرتبط ارتباطًا عكسيًّا بأثر جماعة الرفاق على السلوك بمعنى أن الوالدين وباقي أعضاء الأسرة إذا ما تفاعلوا مع الشباب لوقت أطول وبانتباه مركز ، يؤدي ذلك إلى اضمحلال تفاعل الشاب مع رفاقه ، وبالتالي إلى أن تكون علاقته بالجماعة علاقة سطحية لا تعرض الشاب إلى الانحدار في مزالق الجنوح والجريمة.

وفي دراسة حديثة للأمم المتحدة من خلال برنامجها الإنمائي عن طريق إجراء مقابلات مع 495 شخصا انضموا طواعية إلى الجماعات المتطرفة العنيفة، أن من بين النتائج التي توصل إليها الباحثون في رحلتهم بحثا عن فك طلاسم "دائرة صناعة الموت" في القارة السمراء أن **الطفولة التعيسة** تؤدي دورا حاسما في تجهيز الطفل للانخراط في تنظيمات إرهابية في المستقبل بداية من الحرمان من أحد الوالدين أو كلاهما معا، أو غياب التأثير الفاعل للوالدين في مرحلة الطفولة لمن تم تجنيده داخل تلك الجماعات، والأمر نفسه بالنسبة لمن مر بمراحل يأس وإحباط في طفولته أو عانى من عقوبات جسدية، ما يعني التنشئة الاجتماعية السلبية للفرد أحد العوامل الجوهرية للتطرف ولتجنيد هذا المتطرف داخل التنظيم الإرهابي.[7]

وفي هذا السياق يقول الأستاذ "خضر محمد عثمان أبو طربوش" أستاذ علم النفس بالمركز القومي للمناهج والجامعة المفتوحة بالسودان: "إن الأسرة تؤدي دورا أساسيا في نمو الأفراد وتنشئتهم، وهي تمثل المصدر الأول لمطالب النمو الفزيولوجية والنفسية والاجتماعية والمعرفية والخبرات الأساسية، فالأسرة ليست مجرد وسيلة إنجاب ولكنها الخلية الاجتماعية الأولى لبناء المجتمع".

وحول التباينات من أسرة لأخرى يضيف أبو طربوش: " هناك عوامل تؤدي إلى اختلاف الاتجاهات من أسرة لأخرى، تتمثل في المستوى الاجتماعي للوالدين ومستواهما التعليمي ووضعهما الاقتصادي، إضافة إلى دافعية الإنجاز والحافز".

أما عن الحالة الاجتماعية للأسرة، وإفراز فرد متطرف فيها، فيرى أبو طربوش أن "الوضع الاقتصادي السائد في المجتمع يؤثر في تنشئة أفراده، ويتحكم في العملية التربوية، فهناك آثار للحالة الاقتصادية للأسرة، كما أن نظام المنزل والترتيبات العائلية الداخلية تؤثر بطريق غير مباشر في النمو، وعليه، فإن مهمة الوالدين لا تنتهي عند مرحلة عمرية معينة، وإنما تستمر التنشئة والتربية في حلقات مستمرة، مراعيةً ظروف النمو والمراحل، التي يمر بها الفرد".

وفى سياق متصل، تقول الدكتورة "فادية أبو شهبة" أستاذ القانون الجنائي بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، إن مؤسسات التنشئة الاجتماعية للأبناء سواء فى الطفولة أو المراهقة تبدأ بالأسرة فهي أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية وهى أول مدرسة للطفل.

وأضافت: ما نعانيه من انتشار الأفكار المتطرفة بسب وجود خلل في التنشئة الاجتماعية للأبناء لأن الأسرة لم تقم حتى الآن بدورها الوظيفي في التنشئة الاجتماعية الصحيحة بسبب انشغال الآباء بالأمور المادية. وبالتالي تم إهمال الآباء لأبنائهم وعدم قيامهم بالدور الرقابي والتربوي الصحيح وإذا لم تستطع الأسرة التربية والرقابة والسيطرة فأبناؤها سينجرفون إلى الإرهاب والتطرف أو إلى الانحرافات الأخلاقية وعندها سيكون القانون هو الرادع لأنه أحد وسائل الضبط الاجتماعي[8].

وتعليقا على وجهة نظر الأستاذة "أبو شهبة" فإن انشغال الآباء لا يكون بالضرورة لهدف مادي فقط، هناك بعض الأولياء تنازلوا عن وظيفتهم التربوية لعدم قدرتهم على تحمل المسؤولية أو لجهل منهم، بل منهم من يزرع الأفكار المتطرفة في عقول أبنائهم كونهم غير مؤهلين اجتماعيا للتربية فتجدهم يحملون بذور التطرف من عائلاتهم وهكذا.

من جانبه، يقول الدكتور "مختار مرزوق عبد الرحيم"، عميد كلية أصول الدين السابق بأسيوط، إن المتطرفين يسلكون طرقا عدة لغزو عقول الشباب بالأفكار المتطرفة والبعد بهم عن الوسطية والطريق المستقيم: أولها: أنهم يستغلون غياب دور الأسرة المباشر بينها وبين أبنائها فإن كثيرا من الآباء والأمهات يقصرون في مراقبة أبنائهم وفى نصحهم ملقين العبء كله على الحكومة وذلك خطأ موجود عند كثير من الأسر حيث أنهم يتنصلون من واجبهم تجاه أبنائهم في إنقاذهم من الوقوع في براثن التطرف، وسد هذه الثغرة يكون بوجوب مراقبة الأب والأم لأبنائهم لإنقاذهم من هذا الأمر الخطير.[9]

ب/ التعليم:

يعتبر التعليم سببا أساسيا لتنمية التفكير وتطوير الوعي الفردي نحو الأمور الإيجابية في المجتمع، ففي نفس الدراسة السابقة ثبت أنه هناك علاقة طردية بين انخفاض المستوى التعليمي وإقبال الفرد على الانضمام إلى تنظيم متطرف عنيف، فعلى صعيد التعليم العلماني أثارت النتائج إلى أن 16% ممن انضموا طواعية لمثل هذه التنظيمات تلقوا تعليما علمانيا لمدة بلغت عام أو أقل، وأن 39% منهم تلقوا تعليما علمانيا لمدة تراوحت بين 3 إلى 10 سنوات، ولم يذكر أي منهم أنه تلقى تعليما لمدة تفوق 15 سنة.

وفيما يتعلق بالتعليم الديني أشارت الدراسة إلى أنه على الرغم من أن نصف المشاركين في الدراسة اعترفوا بأن الدين هو سبب انضمامهم للجماعات المتطرفة، فإن 57% منهم أقروا بأن لديهم فهمًا قليلًا أو منعدمًا للنصوص الدينية، أو أنهم لا يقرؤون تلك النصوص من الأساس.

في المقابل، تؤكد الدراسة أن الجماعات المتطرفة تستغل الدين لتبرير العنف القائم. في حين تفيد بأن فهم المرء لدينه جيدًا يمكن أن يعزِّز صموده أمام محاولات جذبه للتطرف، وأنه بمجرد تلقي الشخص لـ6 سنوات من التعليم الديني يمكن أن تقل احتمالات انضمامه إلى جماعة متطرفة بنسبة 32%.

نجد أن الأستاذة نجوى فواز أستاذة الإدارة التربوية والتخطيط المساعد بجامعة تبوك تتفق مع هذا الطرح وترى بأن ست سنوات من التعليم الديني يمكن أن تمثل حائط صد لمنع الشخص من الانجراف باتجاه الانضمام لتنظيمات إرهابية.

وتضيف بأنه "يجب مراعاة أن يكون التعليم الديني معتمدًا على أصول الكتب الدينية، وقائمًا على الوسطية في منهاجه وسلوكه، ورعاية هوية الشباب في عصر تتصارع فيه المعرفة، وتتبادل فيه الثقافات والهُويات والخبرات."

وتقول الفواز: "إن بعض الكتابات والمراجع تُسهِم في توجيه الفكر نحو التطرف، وذلك من خلال توليد المشاعر العدائية، ومعارضة الثقافة السائدة، إضافة إلى جوانب وعوامل أخرى مهمة، مثل الذاتية وميول الفرد نحو الأفكار المتطرفة والانعزالية والإحساس بالأنا، ورؤية الآخر بمنظور مختلف، والإحساس بأن المجتمع يخالف ما يراه المرء صحيحًا، فضلاً عن إسهام المجتمع المغلق في خلق بيئة للتطرف، عبر رفض الحوار الفكري البناء، وعدم محاولة طرح مشكلات الشباب والمجتمع بطريقة خلَّاقة، وعدم القدرة على معالجة الفكر المعارض بطريقة تتميز بالأصالة والإبداع."[10]

ج/ التهميش الاجتماعي

يعتمد التنظيم الإرهابي على استهداف الشباب حيث أن 53% من المبحوثين في الدراسة تراوحت أعمارهم بين 17 و26 عاما عند انضمامهم إلى تنظيمات متطرفة عنيفة وذلك مقبل نسبة بلغت أقل من 3% لمن تخطوا 36 من أعمارهم.

من جهته يرى الدكتور سعيد صادق أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة أن الشباب في سن 14 إلى 22 عاما هم الأكثر احتمالا للسقوط فريسة للجماعات المتطرفة.

حيث –حسبه- "أن التنظيمات الإرهابية تستغل فترة مراهقة مَن تحاول تجنيدهم وبداية نضوجهم وتمردهم على واقعهم لتبث فيهم روح التمرد والقتال وإثبات الذات، وذلك عن طريق برامجهم التي ينشرونها عبر وسائل التواصل الاجتماعي".

ويكشف صادق النقاب عن إستراتيجية الجماعات المتطرفة، التي ترتكز على انتقاد الوضع الراهن للمجتمعات، ووضع الحلول التي تجذب فئة الشباب إليها، عبر دعوات الإصلاح والانتفاضة للتخلص من عباءة المجتمع الظالم.

وعن الدوافع الاجتماعية والعاطفية التي تدفع الشباب إلى التطرف، يشير الأستاذ صادق إلى أن من ضمنها التهميش الاجتماعي من قبل الحكومات لأفرادها، وعدم تلبية احتياجاتهم الاجتماعية، موضحًا أن عدم وجود خطة مجتمعية شاملة قائمة على تنمية بشرية حقيقية، تجعل الشباب ينساقون إلى الجماعات المتطرفة، والتي يجدون لديها البديل عن رفض مجتمعهم لهم؛ إذ تجيد التنظيمات الإرهابية اللعب على وتر حلم الشباب بالمدينة الفاضلة، وإقناع هؤلاء الشباب بأن لدى التنظيمات الوسائل التي يحقق فيها حلمه بالعيش في تلك المدينة، وبمجرد أن يصطدم هؤلاء الشباب بالواقع المرير، تكون ردة فعلهم المباشرة الانضمام للجماعات المتطرفة؛ عقابًا للمجتمع، ولكي يثبت لذاته أنه موجود وليس نكرة.

كما كان للبطالة دور مؤثر في الانضمام إلى تنظيم متطرف عنيف إذ أكد أن 42% ممن انضموا طواعية لثلث التنظيمات أنهم دون عمل كما أكد أن 42% منهم حصلوا على أموال مقابل الانضمام للتنظيم.

2/الجانب الثقافي:

تؤكد دراسة أمريكية معَنْونة بـ"الثقافة والتطرف"، أن القيم الثقافية الصارمة والعادات والتقاليد البالية في مجتمعٍ ما تزيد من عوامل التطرف فيه، بمعنى أن عدم المساواة بين الجنسين وزيادة القمع وسوء استغلال السلطة والإرهاب وعدم استقرار هذا المجتمع سياسيًّا، يزيد احتمالات الانضمام لتنظيمات متطرفة عنيفة.

في وقت ترى فيه دراسة أمريكية أخرى أن مكافحة الإرهاب عبر استخدام وسيلة "القتل الانتقائي"، كما جرى لقيادات الحركات "الجهادية" من قِبَل الإدارة الأمريكية لم تؤت ثمارها، ونتائجها تزيد من حالات التطرف في المستقبل، وربما تأتي بنتائج عكسية.[11]

نجد أن فكرة عدم تقبل الآخر فكرة متطرفة في حد ذاتها، فنحن لا نتلقى في المدارس تعليما بشأن الاختلافات مع الآخر على كل المستويات خاصة منها الثقافية والدينية، فتقبل الآخر باختلافه عنا وبغض النظر عن نوع الاختلاف والتعايش معه في أمن وسلام بعيد عن العنصرية أو النظرة الدونية يعتبر [12]مكافحة للتطرف ضمنيا، فاختلاف الثقافات داخل مجتمع واحد يعتبر شيئا إيجابيا ونقطة قوة وجب استغلالها في التقدم نحو الأفضل، وليس مهاجمة الآخر لمجرد اختلافه عنا ونبذه وتحقيره وصولا إلى محاولة إلغاء وجوده والقضاء عليه فهذا في حد ذاته قمة التطرف.

وعليه فإننا بحاجة لإعادة هيكلة لأفكارنا وإعادة النظر في مواريثنا الفكرية والثقافية كي لا نقع في فخ حمل ثقافة متطرفة دون إدراك ووعي منا بذلك.

3/الجانب النفسي

للتعرف على الأسباب الكامنة التي تقف وراء ذهاب الأفراد للتطرف وجب التعريج على التحليل السيكولوجي:

أ/أصناف الدو افع للإرهاب:

حسب مارثا كرونشاو(Crenshaw,1985) هناك أربعة أصناف من الدوافع في الإرهاب هي:[13]

1-الفرصة للعمل أو الفعل.

2-الحاجة للعضوية والانتماء.

3-البحث عن إطار اجتماعي.

4-الثراء المادي.

ب/عناصر خلق القابلية لدى الأفراد نحو التطرف

فيما بعد وضعت "مجلة اورغان "Horgan ثلاثة موضوعات مصاحبة للقابلية الكامنة للأفراد وهي: اللاعدالة، الهوية، الانتماء للجماعة.

● **غياب العدالة:** تعتبر أكبر دافع، حيث أنها تغذي الرغبة في الانتقام ليس لأجل نفسه إنما لأجل الآخرين، وقد يكون التظلم والاحتجاج اقتصادي، سياسي، عرقي، عنصري، قانوني، ديني، يخص الأفراد أو الجماعات، المؤسسات أو على فئة معينة من الأشخاص.

● **البحث عن هوية مستقرة وآمنة:** يعتبر البحث عن الهوية المستقرة أكبر تحد للنمو النفسي، إذ تعتبر المراهقة هي الفترة التي تتركز فيها فكرة الهوية بعد المرور بأزمات صعبة يستطيع الفرد تكوين "هوية مستقرة" وأين تكون الأفكار والقيم المتعلقة بالهوية، وإن لم يستطع الفرد بلوغ هذه النقطة سوف تجد الطبيعة المطلقة للأيديولوجيات المتطرفة لنفسها مكانًا يمكنها من أن تولد لدى الفرد إحساسًا بالإرهاق من تعقيد العالم فتساعده على الإجابة على أصعب سؤال وهو " من أنا" بجواب بسيط " محارب للحرية، مجاهد ".

● **الانتماء للجماعة:** تعتبر هذه الأخيرة مكون من مكونات الدافع، حيث يعطي الانتماء إلى مجموعة إرهابية إحساسًا بالانخراط والعضوية الذي يعتبر دافعًا كافيًا للإرهابيين، وأهم جاذب للانضمام إلى مجموعة إرهابية حسب "جونسن وفلدمان "(Johnson& feldman,1982) هو المجموعة بعينها أكثر من العنف أو الأيديولوجية، ذلك أن المجموعة من شأنها أن تخلق قوقعة تهمل فيها التساؤل حول الهوية الشخصية وإبداله بكسب هوية المجموعة.[14]

هذه العوامل الثلاثة تعمل غالبًا على تغذية مسار الإرهابي كما تؤثر بشكل كبير على قرارات الالتحاق في التنظيمات الإرهابية والأعمال الإرهابية.

ج/تحليل شخصيات الإرهابي الثلاث:

إذا أخذنا هذه البحوث في مجملها نجدها تعمل على فهم كيف للإرهابي أن يستقر في حلقة مفرغة ضحية فاعل أو متواطئ. وهذا يقودنا لمعرفة "من سوف يكون إرهابي من بين كل الذين تعرضوا للإحباط وإلى تنشئة اجتماعية سيئة، لذا لابد من تحليل شخصية الإرهابي وهنا نميز عدة رؤى منها:

- **الإرهاب سلوك نفسي مرضي:**

أول ما يطرح هنا هو مشكلة الهوية، وأين يضطرب مفهومها بتفكير تطرفي، مما قد يكون سببًا في مصدر لا متناهي من الصراع بين المحيط الخارجي والداخلي للفرد، إذ تصبح الصراعات الخارجية مع الوقت إسقاطات للصراعات الداخلية حتى تضعهم في وضعية انفصال عن المجتمع. تولد من خلالها مشاعر الإقصاء والحوار العدائي المتطرف وتطبيقه بشكل بربري بعيدًا عن أي إنسانية، كما تولد أيضًا مشاعر الكراهية غير المبررة، يفقد الفرد كل مرجعاته مع الواقع والطبيعة الإنسانية.[15]

إن المهتمين بالنموذج النفسي يتخذون المرور إلى الإرهاب نتاج الانحراف الفردي وإعادة إحياء لعدوانية مرضية، وأن حالة الإحباط لا ينظر إليها إلا من زاوية خاصة ويأخذ بعين الاعتبار العوامل المفجرة لإرادة الفرد أو الكشف عن عوامل الهشاشة النفسية (مثلاً نقص الاعتراف الاجتماعي).

إن الشخصية ذات الاستعداد لأن تكون إرهابية هي شخصية ضعيفة، لا تملك أي قوى لمواجهة صعوبات الوجود، حيث نجدهم قد سبق لهم وتعرضوا للاعتداء، فالفرد المصدوم يتقمص ويتباهى بشخصية المعتدي، ويعتمد حلول عدائية تجاه ضغوطات الحياة ويرتبط مع آخرين لديهم مشاكل مشابهة، بهدف تصليح تقديره لذاته، كما اقترح "كابلون" أن تقمص المعتدي تسمح للإرهابي بارتكاب أفعال مرعبة دون الشعور بالمسؤولية الفردية."[16]

حاول الباحثون مؤخرًا تحديد بروفيل الإرهابي، فحسب سيرج تيسرون(Tisseron,2002) أن أشكال البنية النفسية الإرهابية قائمة على الانشطار وذلك بين القدرة على التقبل الاجتماعي من جهة والمحافظة على مشاعر الكره المحفوظة من جهة أخرى. كما يمكن أن نجد عند هؤلاء الأشخاص كف انشطار ومثالية فهي بهذا تتوافق مع الشخصية البرانوية وكذا الوسواسية وذات النمط الفصامي والشخصية المعادية للمجتمع.[17]

غالبًا ما يعتقد الإرهابي أنه على حق وأن الآخرين على باطل، ويتصف بالعجرفة والتعالي في السلوك، والشعور بالعظمة وأهمية ذاته، وأنه يستحق الصدارة والأفضلية على الآخرين. ولقد تفاعلت هذه الصفات النرجسية مع صفاته البرانوية ونجم عنها تثبيت معتقداته الوهمية وتعزيز صفتين، صفة من الشخصية الفصامية وهي افتقار تفكيره إلى المرونة والتبصّر، وسيطرة أفكار بخصوص الانتحار، وصفة من الشخصية المضادة للمجتمع هي عدم الشعور بالندم أو بالذنب عند إلحاقه الأذى بالآخرين.

في حين شرح خبير الانثروبولوجيا "جون سارفيي" (Servier, 1992) الفعل الإرهابي على" أنه يعود إلى ضعف مقاومة العدوانية عند الأفراد،التي تؤدي إلى استحالة التكيف الاجتماعي مما يؤدي به إلى البحث عن أفق اجتماعية أخرى، منشطة ومتغذية بإرادة ورغبة في الانخراط في مجتمع أكثر استقبالاً وأكثر أمومية والاستنجاد بمجتمع أينما يكون هو المحور، أي يخلق أفق اجتماعية بديلة ".[18]

إن فشل التنشئة العائلية من أهم أسباب المرور إلى العنف الإرهابي، هذا المنطق السببي يقودنا إلى طفولية الإرهاب، وأن كل ما يحدث في الواقع وكأن الإرهابيين يعانون من تثبيت في مرحلة ما قبل الشباب، وينكر جزءًا هامًا من وعيهم الدخول في سن الرشد"

كما يرى (Servier, 1992)،" إن الشخصية الإرهابية هي كالشخصية الإجرامية فهي شخصية: انتحارية، رافضة للحاضر ومجتمع الراشدين ولديهم الرغبة في العودة إلى الوراء، وهو في الواقع الهروب إلى الموت كحل لكل الفشل والإحباط.[19]

يبدو أن الفرد يلتحق بالإرهاب كلما كان لديه حاجات سيكولوجية أكثر منه رغبة في تحسين مستوى سوسيو سياسي "، واعتمادًا على نظرية الجماعات، صور كارل بيري لمحات الجهات الفاعلة الرئيسية في المنظمة بداية من القائد الذي يكون الوديعة والضمان الثقافي، " مثل هذا الشخص سوف يطور قصورًا اجتماعيًا-عاطفيًا ويسقطه على المجتمع ". وذلك بدافع فكرة أن المجتمع عديم المسؤولية لذا يجب تغييره. إن القائد شديد الحذر والشك ويكرس السبب بطريقة غير منطقية، ويضيف كارل ربي إن الشخصيات النرجسية والبرانويا هم من يشغلون هذا المنصب. أما الأدوار النفعية وقوة الجماعة الإرهابية يشغلها الأفراد ذوو الشخصية ضد الاجتماعية، وكانت لهم سوابق إجرامية. وختم الباحث بالإشارة أن الشخص المثالي الذي لا يرضى بأي وضع والذي له نظرة ساذجة للمشاكل والتغيرات الاجتماعية يشغلون أدوار تنفيذ المهام الانتحارية.[20]

● الإرهاب سلوك اجتماعي متعلم:

ترى هذه النظرية أن الإرهاب هو نشاط نفسي عادي أو سوي تحكمه سياقات اجتماعية معقدة، وهنا أشار ربي charles Rubyإلى أن " السلوك الإرهابي يعمل بنفس طريقة عمل السلوك غير الإرهابي، وعلى أنه سلوك يشبع حاجات الفرد في كل مره يفعل ذلك." [21]

من خلال وجهة النظر هذه نرى أن الإرهابي ليس نتاج لتوظيف نفسي سيء أو قصور في الشخصية بل يرجع إلى جزء هام من التأثيرات الاجتماعية والخبرات المرتبطة بتعلم غير سوي، فهي بهذا تستبعد تمامًا بنية الفرد النفسية وقواعد السمات الوظيفية للطبع والميول والاتجاهات السلوكية. لأجل دعم نظرية الإشراط الاجتماعي ارتكز ربي Ruby على أعمال كوبر Cooper مقترحًا أن الإرهابي والجندي لا يختلفان من حيث المرض العقلي".

في نفس السياق ركز ديفارج Defargesأيضًا على الرغبة في الاعتراف الاجتماعي كسبب مولد للعنف الإرهابي.ومن جهة أخرى يرى كروس Gros أن الذهنية والإحباط والباثولوجيا هي القواسم المشتركة بين التنظيمات الإرهابية المختلفة، كما وصف الذهنية على أنها ظرفية حيث يتميزون بلا مبالاة بالقانون.[22]

● الإرهاب كسلوك نفسي عادي:

قام فريق البحث الخاص بالمجلة الدولية لعلم النفس الاجتماعي بدراسة مسحية للعديد من الدراسات والمقاربات النفسية في التراث العلمي لقضايا الإرهاب والعنف وأشاروا إلى مقال بوست (Post,2005) الذي يرى أن الإرهابيين ليسوا أشخاصًا مكتئبين ولا يعانون من اضطراب عقلي شديد كما أنهم ليسوا مجنونين أو مهووسي التطرف لدرجة يمكن أن نسميهم أسوياء، وهذا لان عند فحصهم السريري لم يظهروا أي مظاهر الجنون، إلا أن سبب تصرفاتهم هو مجرد البحث عن حقيقة هويتهم الاجتماعية بمعنى البحث عن المجموعة التي تعيد له الاعتبار و الاعتراف.[23]

أشار. MBénézech خلال تدخله في الندوة الدولية حول الوقاية من التطرف بباريس إلى أن الإرهابيين ليسوا بمرضى عقليين، على العموم يظهرون إكلينيكيًا بأنهم أسوياء، باستثناء بعض الملاحظات كالالتزام الروحي القوي الذي تم العثور عليه أيضًا في بعض الحالات مثل الوقوع في الحب والحماس للمتشددين والتفاني اللامحدود للقضية، طعم المغامرة القصوى، والحماس الديني المكثف، بمعنى ارتكاب جريمة شنيعة خارجة عن المألوف لا تعني حماقة مرتكبها وجنونه . والجريمة المنظمة لها لا تنفي بالضرورة اضطراب نفسي شديد في الشخص الذي ارتكبها، لذا فإن تقييم درجة المسؤولية الجنائية للإرهابيين يجب أن يتم حسب كل حالة، دون أن تحددها خطورة الجريمة أو إيديولوجية متعصبة.[24]

ثالثا: سبل الوقاية من التطرف

إن إستراتيجية الوقاية أمر ليس بالهين لأنه يتوجب أولاً تحديد الحلقة (ضحية / معتدي/ متواطئ) ومن ثم كبحها وحسب ما ورد في مقال Pyszczynski & Motyl حيث اقترحا نموذجًا لتحسين العلاقة داخل المجموعات منها:

1- إبراز التجارب والمشاعر المشتركة بين جميع البشر هذا الاهتمام بشراكتنا الإنسانية يجعل الأفراد أقل عدائية تجاه الآخرين، مما يجعلهم يفضلون القيام بالمفاوضات لتسوية أي صراع بدلا من العنف.

2- التركيز والاعتماد على القيم الدينية المتوافقة والمعتدلة، بمعنى نأخذ بعين الاعتبار الإحسان، حب الإنسان لأخيه الإنسان الموجود في جميع الديانات.[25]

3- التكفل النفسي الفوري لضحايا العنف عمومًا والإرهاب خصوصًا، لتفادي سلوك الانتقام من جهة والتقمصات من جهة أخرى لا سيما لدى الأطفال.

4- مراقبة وسائل الإعلام والمادة الإعلامية المقدمة للمشاهد حتى لو كانت حصص توعية ويقظة فهذه الأخيرة قد تكون إيحاءات ودعاية للعنف.

5- مراقبة برامج التلفزيون وما يقدم لأطفالنا من أفلام كرتون الحاملة لرسائل العنف الضمني وكذا مراقبة الوالدين والمؤسسات التربوية للمراهقين في فترة المراهقة.

6- تشجيع برامج وأنشطة نشر ثقافة الحوار واحترام الرأي والرأي الآخر، ونبذ ممارسات الإقصاء والتهميش ضد أي مجموعة عرقية أو اجتماعية، نشر ثقافة إنماء الحس الوطني والوحدة الوطنية لدى المواطن [26].

الخاتمة:

في الأخير يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية تلعب دورا هاما في تكوين الأفراد وصقل شخصياتهم بل هي الدافع الرئيس الذي يقف وراء تطرف الأفكار واكتسابهم لميول نحو العنف والإرهاب، لذلك فإن التحليل الفعلي لظاهرتي التطرف والإرهاب يحتم علينا أن ننظر خارج دائرة الإرهاب والنتائج التي تخلفها هذه الظاهرة، والتوجه نحو تحليل السلوك ورصد العوامل التي تتحرك في داخل الدائرة وحولها، والتي تساعد على إنتاج الإرهاب وتفريغه، ولا بد أن ندرك هذه الأهمية البالغة إذ تجتمع العديد من العوامل لتنتج لنا السلوك الإرهابي في المجتمع منه: غياب دور الأسرة التي تعتبر بوصلة الطفل في سنواته الأولى والعوامل الشخصية التي تميز البنيات النفسية للأشخاص معاشهم النفسي، تجاربهم الصادمة أثناء الطفولة، تأثرهم بجماعات من غير الأسرة، وكذا العوامل الاجتماعية المركزة على التنشئة الاجتماعية لا سيما أثناء مراحل التقليد الخاصة بالمراهقة كمرحلة خطيرة مرورا بسن الرشد، لذا فإن الفهم الجيد لظاهرة الإرهاب وسياقاته ومعرفة الدوافع والأسباب الكامنة خلفه يعد أول خطوة في الوقاية وللتصدي لظاهرة الإرهاب بشتى أشكالها، إذ يبدأ بوعينا بخطورة ثقافة العنف والتربة

التي ينبت فيها، لأن معرفة الأسباب المؤدية للتطرف والقضاء عليها يؤدي بالضرورة إلى تكوين مجتمع سليم ومعافى، وبالتالي خلق بيئة غير مشجعة لميلاد الظواهر المتطرفة كالإرهاب، وإن مكافحة هذا الأخير هو واجب على الإنسانية ككل لإنقاذ إنسانيتها، لذا يجب أن ينظر إلى الظاهرة نظرة شاملة وتعالج بالتكامل والتعاون بين مختلف الأبعاد.

الهوامش:

[1] _ إمام حسنين عطا الله، **الإرهاب البنيان القانوني للجريمة** ، دار المطبوعات الجامعية 2004 ، ص 230.

[2] _ زكور يونس ، **الإرهاب مقاربة للمفهوم من خلال الفقه والقانون** .مذكرة، تحت إشراف د. سعيد خمري، 2006-2005 ، الكلية المتعددة التخصصات آسفي ، ص 92.

[3] _ شريف السليماني، **التطرف والإرهاب: نظرة في الحلول والأسباب.**

[4] _ سارة صالح عبادة الخمشي، "دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب"، **مجلة السكينة الإلكترونية**، www.assakina.com تم الاطلاع يوم 2018/02/1 على الساعة 17.00.

[5] _دراسة بعنوان: "**رحلة إلى التطرف بأفريقيا: العوامل الحو افزونقطة التحول للتجنيد**"، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي American.com www.scientific تم الاطلاع يوم 2017/2/1 على الساعة 10.

[6] _هند مصطفى عبد الغني، "الفكر المتطرف وآليات المواجهة، الشباب والأطفال في مرمى الإرهاب"، **جريدة الأهرام**، العدد 47555، www.ahram.org.eg تم الاطلاع 20158/2/1 على الساعة 12.00.

[7] - **المرجع نفسه.**

[8] _ **دراسة الأمم المتحدة.**

[9] _ **دراسة الأمم المتحدة.**

[10] _ Crenshaw. M. (2010). « Mapping Terrorist Organizations », Center for International Security and Cooperation, Stanford University, Available from: https://cisac.fsi.stanford.edu/sites/default/files/res/mapping_terrorist_organizations.pdf.

[11]-Dorna.A. (2008). « Le syndrome du couple violence et terreur », **Le Journal des psychologies**2008/4 (n° 257), p. 24-27.

[12] _ Dunand .E . (2015). **« Que dire de la psychologie et du comportement des terroristes ? ».** Article Publié le 26/11/2015 http://www.epochtimes.fr/

[13]_ Berthou.E. (2003). **« Les terroristes sont-ils des malades mentaux ?** » ,Article Publié le 18/06/2003 http://www.courrierinternational.com/

[14]- Tisseron .S. **Logiques du clivage, Les cahiers de médiologie 13**, premier semestre 2002, Gallimard, Paris, pp. 233-240.

[15]_]Fragnon. J. (2009). **« Discours antiterroriste : La gestion politique du 11-Septembre en France »,** Thèse doctorat de science politique,Institut de Sciences politique : Université Lumière Lyon2

[16] _ Fragnon. J. (2009).ibid

[17]_ Berthou.E. (2003). Ibid.

[18]_ Berthou.E .(2003). Ibid

[19] _ Berthou.E. (2003). Ibid

[20] _ Bert. C. (2009) . « Comment devient-on terroriste ? », **Revue internationale de psychologie sociale**, vol. 22, n° 3-4, décembre 2009, Article modifié le 12/01/2015,https://le-cercle-psy.scienceshumaines.com/

[21]_ **Les terroristes sont-ils des malades mentaux ?** »Entretien avec le psychiatre et criminologue bordelais Michel Bénézech, qui est intervenu lors de la conférence internationale de Paris consacrée à la prévention de la radicalisation, Publié le 01/06/2016 , http://www.sudouest.fr

[22]_. Bert. C. (2009) .Ibid

[23]_ أحمد أبو المجد، **دور المجتمع المدني في مكافحة الإرهاب**، المركز المصري لدراسات السياسيات العامة، The site of The Egyption Center of Policy Public Stydies تم الاطلاع يوم 2018/2/3 على الساعة 13.00.

قائمة المراجع:

1/ باللغة العربية:

1_ أحمد أبو المجد، **دور المجتمع المدني في مكافحة الإرهاب**، المركز المصري لدراسات السياسيات العامة، The site of The Egyption Center of Policy Public Stydies تم الاطلاع يوم 2018/2/3.

2_إمام حسنين عطا الله، **الإرهاب البنيان القانوني للجريمة** ، دار المطبوعات الجامعية 2004 .

3_ زكور يونس ، **الإرهاب مقاربة للمفهوم من خلال الفقه والقانون** .مذكرة، تحت إشراف د. سعيد خمري، 2006-2005 ، الكلية المتعددة التخصصات آسفي.

4_سارة صالح عبادة الخمشي، "دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب"، **مجلة السكينة الإلكترونية**، www.assakina.com تم الاطلاع يوم 2018/02/1.

5_شريف السليماني، **التطرف والإرهاب: نظرة في الحلول والأسباب.**

6_دراسة بعنوان: "**رحلة إلى التطرف بأفريقيا: العوامل الحو افزونقطة التحول للتجنيد**"، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي www.scientific American.com تم الاطلاع يوم 2017/2/1.

7_هند مصطفى عبد الغني، "الفكر المتطرف وآليات المواجهة، الشباب والأطفال في مرمى الإرهاب"، **جريدة الأهرام**، العدد 47555، www.ahram.org.eg تم الاطلاع 20158/2/1 .

2/ باللغات الأجنبية:

1_ Bert. C. (2009) . « Comment devient-on terroriste ? », **Revue internationale de psychologie sociale**, vol. 22, n° 3-4, décembre 2009, Article modifié le 12/01/2015,https://le-cercle-psy.scienceshumaines.com/

2_ Berthou.E. (2003). **« Les terroristes sont-ils des malades mentaux ?** » ,Article Publié le 18/06/2003 http://www.courrierinternational.com/

3_ Crenshaw. M. (2010). « Mapping Terrorist Organizations », Center for International Security and Cooperation, Stanford University, Available from: https://cisac.fsi.stanford.edu/sites/default/files/res/mapping_terrorist_organizations.pdf

4_Dorna.A. (2008). « Le syndrome du couple violence et terreur », **Le Journal des psychologies**2008/4 (n° 257).

5_ Dunand .E . (2015). **« Que dire de la psychologie et du comportement des terroristes ? ».** Article Publié le 26/11/2015 http://www.epochtimes.fr/

6_ Tisseron .S. **Logiques du clivage, Les cahiers de médiologie 13**, premier semestre 2002, Gallimard, Paris,.

7_ **Les terroristes sont-ils des malades mentaux ? »**Entretien avec le psychiatre et criminologue bordelais Michel Bénézech, qui est intervenu lors de la conférence internationale de Paris consacrée à la prévention de la radicalisation, Publié le 01/06/2016 , http://www.sudouest.fr